والخامس: التغطية.

ومنه قوله تعالى في الحديد[1] ﴿أعجب الكفار نباته﴾ يريد الزراع الذين يغطون الحب.

وقد أرجع ابن قتيبة سؤالهم إلى جهلهم بالمعنى الأصلي للفظ، وهو التغطية.

وأجاب به عن سؤالهم متفاديًا الخوض في تأويل تركيب وعر..

وجوابه هو الوجه الخامس مما ذكره ابن الجوزي، وقد اشترك معهما في هذا التفسير، مفسرون آخرون، فقد جاء في تفسير أبي حيان الأندلسي[2]: «قيل: الكفار الزراع، من كفر الحب، أي ستره في الأرض، وخصُّوا بالذكر لأنهم أهل البصر بالنبات والفلاحة، فلا يعجبهم إلا المعجب حقيقةً».

وصدر أبو حيان هذا الرأي بلفظ «قيل» وهو قريب من ألفاظ التضعيف، ولم يحاول أن يستدل عليه أو أن يؤيده بالآية الأخرى آية الفتح، كما فعل ابن قتيبة، لكنه كذلك لم يعلق عليه، ولم يصرح بتضعيفه، وهو يفعل أحيانًا.

ولعل الذي حدا بالمفسرين إلى القول بهذا الرأي، خروجًا على شائع الاستعمال القرآني للمادة، هو السياق!

فقد وردت الكلمة جزءًا من صورة، ضربها الله تعالى مثلاً للحياة الدنيا، وبناها على مراحل حياة النبات، ومراقبة الإنسان له.

قال تعالى: ﴿**والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم. اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا، ثم يكون حطامًا وفي الآخرة عذابٌ شديد، ومغفرةٌ من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**﴾[3]

ولم يكن في ظاهر لفظ الآية، ما يدل على أن هذا النبات جدير أن يعجب الكافرين فقط لشرٍّ ما كامن فيه، فلماذا يختص الكافرون فقط إذن بالإعجاب به؟!

---

(١) الحديد: ٢٠.

(٢) أبو حيان المحيط، البحر، ج١٠، ص١٠٧.

(٣) الحديد: ١٩ ـ ٢٠.